مؤسسة التحايا

قِسْمُ التَّفْرِيغ وَالنَّشْرِ

تفريغ

خواطر في التزكية والسلوك

الخاطرة التاسعة: مطمئن ومطمئنة

MP3 | 16:00

للشيخ : حارث النظاري

إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

النوع : إصـــدار صـــوتي

المدة : ١٦ دقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ الحلقة التاسعة من سلسلة

خواطر في التزكية والسلوك

(مطمئنٌ ومطمئنة)

للشيخ/ حارث النظاري (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

ربيع الآخر 1436 هـ – يناير 2015

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك؛ اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ في العالمين إنك حميدٌ مجيد. أما بعد:-

الحياة مليئة بالاضطراب، مليئة بالحركة وبالصخب، وبالقلق وبالتغيرات؛ مضطربة متغيرة، قلقة، كثيرة الحركة؛ والمطمئن هو قلب المؤمن، قال الله: {أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.

والمطمئنة هي نفس المؤمن، قال الله: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً}.

فالمطمئن هو قلب المؤمن، والمطمئنة هي نفس المؤمن.

فالمؤمن مطمئنٌ قلبًا ونفسًا، ولا طمأنينة بدون إيمان، قال الله – تعالى -: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

الطمأنينة: هي سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، طمأنينة.

لكن، الطمأنينة بماذا؟ والطمأنينة إلى ماذا؟

الطمأنينة إلى خبر الله، والطمأنينة إلى حكم الله، والطمأنينة إلى قدر الله.

لا يكون العبد مطمئنًا حتى تجتمع فيه هذه الثلاث:-

- الطمأنينة إلى خبر الله.
- والطمأنينة إلى حكم الله.
- والطمأنينة إلى قدر الله.

الطمأنينة إلى خبر الله: قال الله – تبارك وتعالى -: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

قال قتادة: "صدقًا فيما قال، وعدلًا فيما حكَم: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا".

عن فُضالة بن عبيد – رضي الله عنه –، أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثةٌ لا يسأل عنهم: رجل نازع الله رداءه، فإن رداءه الكبر وإزاره عز؛ ورجلٌ في شكٍ من أمر الله؛ والقَنوط من رحمته)، رواه الطبراني وهو حديثٌ صحيح.

ومن أخبار الله – تبارك وتعالى –، الوعد والوعيد في الدنيا والآخرة؛ الوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه، الوعد بالخير والوعيد بالعذاب، في الدنيا والآخرة؛ قال الله – تعالى –: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}.

الأمر الأول/ الطمأنينة إلى خبر الله – تبارك وتعالى –، ومنه الوعد والوعيد.

الأمر الآخر/ الطمأنينة إلى حكم الله، إلى أمر الله الشرعي، قال الله –تبارك وتعالى –: {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.

الله – سبحانه وتعالى – يحكم ولا معقب لحكمه، لا أحد يحكم بعد الله – تبارك وتعالى –، لا حكم بعد حكم الله – تبارك وتعالى –؛ وقال الله – تبارك وتعالى –: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}.

والذي يحكم بحكم الله، هم الرجال أهل العلم؛ يجتهدون في معرفة حكم الله – تبارك وتعالى –، ثم يقضون به ويحكمون به، وهذا أمرٌ مهم؛ أن الرجال يجتهدون في حكم الله، لإسقاطه على الواقع، يجتهدون في معرفة حكم الله؛ ليقضوا به في الناس.

لأن مما أخذ الخوارج، على علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، عندما قَبِل بمحكمةٍ مشتركة بينه وبين معاوية – رضي الله عنه –؛ أخذ عليه الخوارج، أنه حكَّم الرجال في أمر الله، والله يقول: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}.

أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن شداد، يقُص على عائشة – رضي الله عنها –، قال: "فإن عليًا لما كاتَبَ معاوية وحكَّم الحَكَمين، رضي معاوية وعلي – رضي الله عنهما –، في أن يحكم في تلك الدماء [محكمة مشتركة من الطرفين، يحكم فيها رجلان اثنان]؛ قال: فإن عليًا لما كاتب معاوية وحكَّم الحَكَمين، خرج عليه ثمانية آلافٍ من قُرَّاء الناس [الذين خرجوا على علي – رضي الله عنه –، لم يكونوا من الفجار أو من الفساق أو أهل المعاصي! بل قال: خرج عليه ثمانية آلافٍ من قراء الناس؛ يقرؤون القرآن ويقومون به الليل، – يقرؤون القرآن ولكن لا يفقهونه –]؛ قال:

خرج عليه ثمانية آلافٍ من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء، من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه [على علي – رضي الله عنه –]؛ فقالوا: انسلخت من قميصٍ أَلْبَسَكَهُ الله – تعالى –، واسمٍ سماك الله – تعالى – به، ثم انطلقتَ فحكّمتَ في دين الله، فلا حكم إلا لله – تعالى –؛ فلما أن بلغ عليًا ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذنًا فأذن، ألا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حمل القرآن؛ فلما أن امتلئت الدار من قراء الناس، دعى بمصحفٍ إمامٍ عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: "أيها المصحف، حدث الناس"، فناداه الناس فقالوا: "يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مدادٌ في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟".

قال: "أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله – عز وجل –، يقول الله – تعالى – في كتابه في امرأة ورجل: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}؛ فأمة محمدٍ ﷺ أعظم دمًا وحرمةً من امرأةٍ ورجل".

وذكر الإمام النسائي في كتابه (خصائص علي – رضي الله عنه –)، مناظرة ابن عباسٍ – رضي الله عنه – للخوارج، فقالوا – أي الخوارج –: "ما شأن الرجال والحكم؟"

فأجاب عنهم ابن عباس – رضي الله عنه –، عندما ناظرهم فقال: "أما قولكم حكم الرجال في أمر الله؛ فإني أقرأ عليكم من كتاب الله، أن قد سيَّر الله حكمه إلى الرجال، في ثمن ربع درهم، فأمر الله – تبارك وتعالى – أن يحكموا فيه؛ أرأيتم قول الله – تبارك وتعالى –: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ}، وكان من حكم الرجال؛ أنشدكم بالله، أحُكم الرجال في إصلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل.

القصد الطمأنينة إلى حكم الله – تبارك وتعالى –، والانقياد إلى حكم الله – تبارك وتعالى –، ولشرعه ولقضائه، ولما أمر به – سبحانه وتعالى –، وعدم التملُص عنه ذات اليمين وذات اليسار؛ هذه سيما المؤمنين: الالتزام بحكم الله – تبارك وتعالى – واتباعه، وسيما المنافقين: التملص والهروب من حكم الله – تبارك وتعالى–.

قال – سبحانه وتعالى –: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} [أي: منقادين سلسين] {أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون}.

هذا الطمأنينة إلى حكم الله – تبارك وتعالى –، وإلى قضاء الله – تبارك وتعالى – الشرعي.

الأمر الثالث/ الطمأنينة إلى قدر الله، الإيمان بالقضاء والقدر.

عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: "يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء، حتى تقوم الساعة)؛ يا بني، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من مات على غير هذا، فليس مني)" رواه أبو داوود.

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ قال: (لكل شيءٍ حقيقة؛ وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه). رواه أحمد في المسند، وهو حديث حسن، بل هو صحيح لغيره.

الطمأنينة في حكم الله الشرعي، سواء كانت خبرًا أو أمرًا؛ وحكم الله القدري يوصلك إلى اليقين.

من اطمئن إلى أمر الله، واطمئن إلى خبر الله، واطمئن إلى قدر الله، فهو من الموقنين؛ والطريق إلى الطمأنينة، ذكره الله – تبارك وتعالى – وهو الذكر، قال – سبحانه وتعالى –: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.

وأفضل الذكر وأعلى الذكر هو القرآن العظيم، قال الله – سبحانه وتعالى –: {وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}.

فأعظم طريق إلى الطمأنينة، هو ذكر الله – تبارك وتعالى –، وأفضل الذكر هو القرآن العظيم؛ طريق الطمأنينة أفضلها، وأعظمها هو كتاب الله – سبحانه وتعالى –.

والنفس المطمئنة في الدنيا، مطمئنةٌ عند الموت، مطمئنةٌ يوم الفزع، مطمئنةٌ في الآخرة؛ قال الله: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً}، راضيةً بما أوتِيَت، مرضيةً عند الله – تبارك وتعالى –.

وقال ابن كثير – رحمه الله –: "راضيةً أي: في نفسها، مرضيةً أي: قد رَضِيت عن الله، ورضي عنها وأرضاها".

نسأل الله – تبارك وتعالى –، أن يجعل نفوسنا مطمئنة، وقلوبنا مطمئنة، وأن يرزقنا حسن الختام، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.